حب المرأة

الى الخيام ، العاقل الالهي
الذي تكتب رباعياته في النفس
النشوة الخمرية المذهلة التي لا تنتهي
نشوة الله والخمرة والمرأة ...

آه ! يازهرة الصدر ، أيتها الزهرة المطبقة ،
أن — يأذن — تغيم تلك المحبوبة التي يجب عليّ
أن اسعى اليها بدموعي وحبي ؟

أهي شقراء ، ام سمراء ؟
وهي طائفة تحت شعاع القمر السحري
ثم عساها تحلم الآن
بعيدة عن حبيبها الذي لايزال في اطواء الغد ؟

أصغي يانفسي !
هذه هي اللحظة التي يتنهد فيها القمر الساجع في السماء ،
بأغنية رقيقة كأغنية شبابة تسول وتبكي !

قبل أن يهتك الموت — ذو السر القلق ،
ستار الاسرار التي عمّاها الله على اهل الارض ،
أحبي يانفس ! ولا تسألي عن مصدر وجودك
ولا تحفلي بما ينتظرك في اعماق المجهول !

لم يؤثر عن النزالي شعر ولم يعرف عنه انه نظم رباعيات ولكن الشاعر الفرنسي استطاع ان يقدم لنا كأسا منتقاة من كروم صوفية النزالي ممزوجة من كروم الخيام والشيرازي وقد نسجت عليها أضواء خاطفة من نشيد الانا شيد

وفي انتحال الليالي الساكنات الساجيات
في حرارتها ، وفي تحولها
وتحت شعاع القمر الذي فضفض النخيل
زهرة سدر تتفتق !

تقبلي قبلتي من فم الازهار !
هذه الازهار ، أزجيها الى شفتيك الورديتين ...
تقص عليك هموي المستريحة بضئيل من الفرح .
وأنهلي نداها وأنت تذكرين الدموع .

قربي صدرك ، وخدك الملتهب
من اقتاس ليالي الصيف ،
فاني قد سكبت روحي في الليل
لتمزج بجمالك !

لا لذة تبلغ لذة الحب .
ولا حرارة ملتهبة تشبه هذه الحرارة
ولا ثمرة طيبة تستطيع ان تهدىء ثورة شفتي .
وهي تذوب كشفتك حين تلاقي شفتي .

ان شعاع القمر كنهدة من تنهدات الليل .
كم من تنهدة في قلبي الذي يضطرب !
وفي قلبك تتذوقين لذة اتحادنا معاً
مع التنهدة التي لا تنتهي تنهدة السماء المضيئة .

لتحاب ولتحلم !
فانا لا نجد دائماً ازاء اعيننا هذه السماء الرقيقة .
والاموات لن يروا ابداً هذه الليلة اللطيفة الزاهية
التي تمسنا بلين وتزيد هوانا رقة وحنانا

لألي، ثغرك ، وزرقة عينيك
تتركني أبارك — حين تهتك عنك الحجب —
أبارك هذا الصانع الالهي الذي نثر على بساط السماء
هذه الازرار الساطعة الماسية من النجوم

بكأس من الخمر ، وحبات من التمر
وبساط من الزهر ، وبثغر الحبيبة الجميل ،
وعينيها اللتين أفسدهما التحول
أحس — يا إلهي — قبلتك في قلبي !

خيام ! في غرفتي الموصدة دون جميع اصوات العالم .
آه ما اعذب — بالقرب من المحبوبة —
لألاء القمر يفيض من اياتك !

تآخي يا روحي مع الكواكب المذهبة
ومع الارواح التي تلتهب في الليل الذي لا ينتهي .
تآخي مثلها واخفقي ، أحبي وتألمي . أحبي ايضاً .
وبالفجر والليالي السامية اسعدي !

ترنيمة الليل الهادئة الهائمة
تتحدر على المدينة الساكنة
وكل تأوهة ، وكل لفتة حولنا تسكن ، لتسمع هذه الترنيمة بوضوح .
ولكن اغنية عينيك أكثر من ترنيمة الليل رقة وحناناً .

اشرب يا قمر الحب بكأس عقيقية حمراء !
فان قمر السماء سيشرق بعدنا كثيراً على هذه الرياض
التي رأت ألف ربيع وربيع .
يشرق دون ان يجدنا في مثل هذه الليلة .

جسدك الجميل المنسخ بالطيوب الغالية ،
يخنق فؤادي في فضاء من العطور . . . .

ايتها النجوم ! يامرسيق السماء :
إن اغنيتك ترن رنات السكون .
وتتحد مع فكري حال استلامي للأحلام
على هذه الامواج حيث القمر يبرز متهادياً !

أتحلين حينما تطأ قدماك التراب ،
بأنك واطئة ماكان من قبل عيناً كحلاء لعاشقة طالما ضحك النور فيها .
أو ثمراً زاهياً رنَّ فيه صوت .

جمجمتك حيث تخطر الآن اهواؤك بكبرياء
ويرح اعماقك وكر فكرك .
قد تعثريها قدم عاشق ، مبعداً فمه عنك اشمئزازاً وغوراً .

وإذا كان — لا بد لك غداً — بأن تفدي من الموتى .
فاتركي نفسك وعقلك يسكران من الجمال .
وتأملي هذا العشب الجديد كيف يهتز للحياة
قبل أن يرى في جسدك الفاسد غذاءه ! !

ايتها الغواني اللواتي يحطمن كبرياء الفتاة !
وينزعن من الدموع بقوة جمالهن .
أية اسرار فيكن تجعلنا شاحبي الوجوه
وتتركنا في لحظات حبنا نتمنى الموت .

عيونكن تفتح لي عن فردوس قائم ،
عن فردوس بعيد يحيط فيه حلمي في المساء

سارحاً بين أزهاره ونجومه .
دون أن يستجلي فيها ذلك السر الذي تنطوي عليه .

اضواء القمر الزرق كم ذهل في اسرارها كثيرون من العاشقين !
كم ليالٍ مقبلة ، وعلى عظامنا ، هذه الاشعة ذاتها ستذهل الارض

شعرك الذهبي الكثيف المطيب بالمسك .
المتدلي كالعناقيد على تديك العاجيتين
جاعلاً بدنك ناعماً لامعاً اكثر اشراقاً من عسجد ،
تظلله في المساء سماء ذهبية تتلألأ فيها خيوط الشفق الغاربي .

اشعة ، او خطوط ، او الوان . كل ايقاع هو عبد .
انا تلك النفس التي تستطيع ان يغنيها جمال نظرة
وتشعر بموتها اذا لمعت عليها لمعة مجرمة من الجمال الكامل

ان الروض اللازوردي الكبير يريد ان يتفتح في الليل .
ياحبيبي تعال نرى — بعيداً عن الناس — القمر يرداء ملكة يتهادى الينا .
وفي هذا الروض الازرق تتفتح النجوم .

ان عيون من احببت :
عيون طافحة بالاحلام للصحب .
هذه العيون التي تبسم له بحنان ستلاقي فسادها .

كل اولئك الموتى مضطجعون على ظهورهم
يأكلهم دود الثرى منهلاً . . .
وهم يرشفون حول الظلمات
بتلك العيون المتفتحة ، الحدقة كثيراً .

هنالك رجال ما أرق اقسمهم ! لانهم صانوا في قلوبهم
رقة تركتها فيهم قبلة امرأة . . .

وعشاق قليلون تبلغ سعادتهم هدد الغاية ،
يختفهم الشفق الساطع الملتهب .

ان عندليباً يغنّي في ظلال نفسي
باكياً لذكرى ليالٍ قديمة في الصيف
وذكرى وردة كان جمالها المتوقد ، يسطع في الروض كالشعلة .

ولو ان الموت حال بيني وبينك فاني اراك بلا انقطاع .
واراك في كل مكان ورائي
وكنجمة ميتة تصفرُّ لها الليالي تعكس عليّ النور عينا امرأة هالكة .

كم من ايام بعدنا تزهر فيها هذه الاعواد البيض من زنبق
الليل وورد الفجر !
ما كنت لابغض الوجود قبل ان انزل فيه
فكيف ابغضهُ بعد ان أتوارى في المجهول ؟

بلى ! كل شيء باطل ، يموت ويبيد .
ان قصر هذا الوجود مشيّد على رمل !
والماضي والآتي هما موتان قاتمان في كل الجوانب .
وهذا الحلم الذي يسود الناظرين هو الذي يجعل عيونهم شرسة

قد يكون التأمل في بعض الخطرات في غير موضعه
وقد يقودنا الى طريق وعر
الا فتأمل — في وجه القمر — بين الحب .
فقد يكون تأملك هذا — على الاقل — عبد عينيك !

هذه الاكاذيب التي تغرينا بالحياة
وتجعلنا نصفح عن هذا العالم المجنون

أجيبها — وأحب منها الموسيقى والشعر والحب ،
وهذه السماء الرقيقة التي تدخل فيها النفس

لنفسي ، ولبيبي ، قدمي ثانية ضئيلاً من الطرب !
وافتحي حجبك البيض ، واتركي روحي الشفية التي
ترغب في الهدوء تستريح ، على صدرك الناعم الشاحب .

جسدك الناعم كالجين ، وعيناك هما لازورديتان .
يفوح عبير الياسمين من شفتيك الذابلتين . . . .
واذا شدوت أغنيتك في الليل فكأن كوكباً يتوارى في جالك الساطع .

قامتك كالسرو ، وعينك كالصبح صفاء . وخدك كالورد .
أريد ان أدري : لماذا القدر العابث بالكائنات ،
أبقاني حيًّا ثم أضواني ؟

عيناي ذاهلتان بوجهك المشرق
وكواكب عينيك وورد بشرتك .
قد يكون الفناء كامناً تحتها ،
وما همي ؟ اذا كان الجسد صافياً عزيزاً عليّ !

أيها القمر ! أنك انت القيثارة الفضية الرقيقة ،
وأشعتك البيضاء أوتارها .
يا ألهي . أنت توقع عليها برقة مع قلبي الكئيب الحائل .

عند ما يرخي الليل علينا ذوائبه الطويلة المرصعة بالنجوم والياقوت
أرخي أنتِ علينا غدائرك مثله ، وأزيحي هذه الكتب
ودعي جبيني مسنداً على ركبتيك دون ان تتكلمي !

قد يمكن ان نحب دون ايمان بمن نحب !

انني أعبد الجمال الذي أحس فناءه .
وأخيراً علمت بطلانهُ ؛ بطلان ما كنت أعبده حين أبدعتهُ .

جمالك الخادع هو كالفرسة التي تمشّى السم في اثناء عروقها الرقيقة
أن رغبات قاتلة تجول في عينك الصافية
كتلك الزواحف التي تنساب في بطون الغدران الزرقاء .

أجيل ناظري فيها ،
فاذكر البحر الجاني . . .
يتلقف الماردين والموتى جوفهُ
وهو — في الظاهر — ذو ضحكة صافية رنانة!

لكي يذيب جسدك، ويقتل نفسك
يعرف الموت ان يستولي على وجه امرأة
بعينين واسعتين صافيتين كالزهر تشبهين العين الغادرة التي تموتين بها

ايها القمر ! يا رأس ميتة تنير الليالي،
انت جئتنا علمنا ان كل شيء كاذب .
ايها القمر الذي تجعل السماء أكثر حناناً حين تنير حيناً ،
وتجعل احلامنا احلاماً آلهية

كل شكل في هذا الوجود هو بغير حقيقة
ومظاهرهُ ليست بثابتة
وانك ، وانت تحيط قلبك بهذه الحقيقة
تستطيع ان تستنقذ نفسك من القلق الذي تخلقهُ هذه المظاهر

— يتلوه الحب الصوفي — « خليل هنداوي »